

الصحافة اللبنانية المهاجرة إلى طَنْجَة (1889 - 1911م)

■ رشيد العفاقي

لا شكَّ أن بعضَ أخبارِ الهجرات اللبنانية قد أضحت معلومةً لدى عددٍ من المؤرِّخين الذين اهتموا بشأن اللبنانيين الذين تفرقوا على بيادرِ هذا العالم بعدَ الحوادث المؤلمة والدَّامية التي وقعت في جبل لبنان سنة 1860م وهي السنة التي تُعرف عند اللبنانيين بالسَّنة المشؤومة؛ لكن ما يلفت الانتباه هو النقص الذي يتخلل كلام بعض المؤرِّخين الذين درسوا هذه الهجرة في مَوطِنِها وتَبَّعُوا آثارَ أبنائها في المهاجر البعيدة.

لقد هاجر اللبنانيون - بعد تلك الأحداث - إلى مناطق عديدة من العالم، وكَوَّنوا جاليات مُتميِّزة في الولايات المتحدة الأميركية، وأستراليا، وأميركا الجنوبية والوسطى، وهي مهاجر لبنانية معروفة يجد الباحثُ عن تاريخها الكثيرَ من النصوص والأضواء في كُتب الرحلات والمذكِّرات والصحف، وقد أُنجِزت حولها بعض الدراسات بالإنكليزية والإسبانية. على أننا نُججِف بحق هؤلاء اللبنانيين والسوريين إذا اعتقدنا أنَّ هجرتهم لم تكن إلا «بقصد التجارة

■ باحث مُساعد بمركز الدِّراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء - الرباط، المملكة المغربية.



وتوسيع المال وتحصيل الثروة الطائلة»، كما قال الأمير محمد علي باشا في رحلته الشامية. والحقيقة أن كثيراً منهم هاجر بحثاً عن الأمان وعن بيئاتٍ تتوفّر فيها الحرية الفكرية بنسبةٍ طيّبةٍ، ويكفي دلالة على ذلك أن كثيراً منهم أسدّوا خدمةً جليلاً للثقافة العربية؛ إذ أنشأوا الصُحفَ وأسهموا في تنشيط الحركة العلمية والفنيّة في البلدان التي استقبلتهم.

وثمّة مهاجر لبنانية معروفة لفتت انتباه المؤرخين، ونحن نرى من المفيد في مقدّمة هذه الدراسة أن نُشير إليها هنا قبل أن نُؤلّي وجوهنا شطر المغرب. فمن الوجّهات التي اجتذبت لبنانيي هجرة ما بعد عام 1860م: مضر، فصّدوها لما رأوا في رُبوعها من الحرية وفي أمرائها من الأريحية، وقد روت كتب التاريخ أن عدداً وثيراً من اللبنانيين نزلوا إلى الإسكندرية والقاهرة ووَجَدُوا فيها مُستقراً ومقاماً، وفيهما أسسوا الصُحفَ واشتغلوا بالتمثيل والفنّ، والباحث عن أخبار الشّوام بأرض الكنانة يجد معلومات كثيرة.

كما رحلوا إلى أوروبا وأنشأوا صحفاً ومجلاتٍ في كلِّ من باريس ولندن، ولا يصعب على الباحث عن أخبار اللبنانيين الذين هاجروا إلى القارة العتيقة أن يعثر كذلك على نصوص ومُعطيات في مصادر تلك الحقبة تُورِّخ لمقامهم بديار الهجرة وتُبرز إسهامهم في إغناء الثقافة العربية هناك. ولكنه قد لا يجد شيئاً يُفيدُه فائدة كبيرة عن اللبنانيين الذين نزحوا إلى المغرب، فلم نجد دارساً واحداً اهتم بالشّوام الذين لجأوا إلى هذا البلد الواقع في أقصى غرب الوطن العربي، والسبب معروف هو أن المعلومات المتوفرة عن مقامهم في الديار المغربية قليلة. وكان الأستاذ أحمد المكاوي قد أشار إلى هذا النقص في كتابه (المغرب في تاريخه المنسي، ص 79)، قال: «لا تزال جوانب كثيرة من مسألة التواصل بين المغرب والمشرق في الفترة الحديثة والمعاصرة غير معروفة بشكل دقيق، بل يلفّها الغموض، ولا سيما أهمية الجالية الشّامية في المغرب ودورها في مجالات متعددة: الصحافة، والنشر، والإصلاح، وغيرها».

وقد كان الإغفال الذي لحق بهجراتهم إلى المغرب من قِبَل المؤرخين

مما حفزني على الرجوع إلى لَمَّ شتات أوراق كُنْتُ قَيَّدْتُ فيها - قبل سنوات - عدداً من المعلومات عن اللبنانيين الذين استقروا بمدينة طنجة المغربية.

لقد أصبحت هذه المدينة في القرن التاسع عشر الميلادي مَقَرّاً لسُفراء وقناصلِ عَدَدٍ من الدول الأوروبية والأميركية، ولهذا السبب أنشئت فيها دار النائب السلطاني الذي كان يتولّى مُهمّة تمثيل سلطان المغرب في التفاوض مع الأجانب، وكانت الدار التي يَعْمَلُ فيها تُعرف بدار النيابة، ما زالت بنايتها قائمة إلى اليوم؛ ولكنها فقدت الكثير من أصالتها، وتحوّلت بُيوتها إلى مكاتب للعدُول والموثّقين. وقُبالة دار النيابة هذه كان يوجد أيام

**ذكرت كُتِبَ التاريخ أن
عدداً وفيراً من اللبنانيين
نزلوا إلى الإسكندرية
والقاهرة ووجدوا فيها
مُستقراً ومقاماً، وفيهما
أسسوا الصُحفَ واشتغلوا
بالتَّمثيل والفضنّ.**

اشتغالها في القرن 19 الميلادي محلّ لتاجر مشهور بالمدينة لبُناني الأصل والمؤلّد يُدعى يوسف سعادة حلّ بالمدينة قبل 1890م، وفي الرُّزّاق نفسه نجد مكتبة ميشيل كرم اللبناني، وهو أحد أربعة إخوة من آل كرم نزلوا عروس شمال المغرب فاستفادوا وأفادوا.

وقبل أن نتقدّم بالتعريف بأشهر اللبنانيين الذين انتقلوا إلى طنجة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وأنشأوا فيها

الصحف، واشتغلوا مع المخزن¹، ومع القنصليات والسفارات الأجنبية، نرى من المفيد جداً - ونحن نتكلم على ظهور الصحافة بالمغرب، وما كان للبُنانيين فيها من دور رائد، وما لهم من إسهام بارز في تكوين مدرسة من الصحافيين المغاربة - أن نضع القارئ في الإطار الزمني والسياسي الذي صادفه هؤلاء اللبنانيون لما حلّوا بالمغرب:

كان وُصول هؤلاء اللُّبنانيين إلى المغرب في وقت أصبح عمره السياسي المستقل قد انتهى ولم يبقَ إلا الإعلان عن الوفاة، أو لنقل: إن أوَّلَهُم وفادة

1 - كلمة المخزن في الاصطلاح المغربي تعني الحكومة أو السلطة، وما زال هذا الاستعمال جارياً إلى اليوم.



عليه وجد البلد يعيش في الهزيع الأخير من عصر السيادة. فقد كان التنافس بين القوى الاستعمارية الأربع: (فرنسا، إنكلترا، إسبانيا، وألمانيا) قد وصل إلى ذروته، وبلغت هذه الدول في استنزاف الدولة المغربية إلى مُبتغاها بعد أن استطاعت أن تنتزع منها العديد من المواثيق والامتيازات التي تُبّيح لها التّصرف في خيرات البلاد وشؤون العباد، والتّدخل في رسم سياستها على كافة الأصعدة، كما قيّدتها بالالتزامات والدُّيون حتى لم تُعدّ قادرةً على فعل شيء، وكان كلُّ واحد من هؤلاء الأربعة الكبار يدّعي بأنّ له الحقّ في المغرب، وقد أُوجِدَ لذلك عدداً من الأدوات مِنْ شأنها أن تُسهّل مُهمّته وتُلَمِّع صُورته عند السلطان ولدى المغاربة بعامّة، وتعمل على الدّعاية لمحاسِنه وفي الآن نفسه تبيّن مساوئ حُصمه، وكان من بين تلك الأدوات: الصحافة. وما لبث الصّراع بين القوى المتنافسة أن برز على صفحات الجرائد، وسعى كل فريق - بكل ما أُوتِيَ من دهاءٍ وقوة - لَدَى المخزن المغربي على إقصاء صوت مُنافسه، وثمّة حكايات مثيرة في هذا الجانب ليس هنا محلّ تفصيلها.

وفي الجانب المغربي لم تكن الساحة السياسية تخلو من صراع على مُستوى الحُكم، فقد دبّ النّزاع بين ورثة عرش السلطان الحسن الأول، وامتد ذلك النزاع لسنوات، هرع خلالها المتنافسان (السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ) هُما أيضاً إلى الصحافة لتكون ناشرةً لأرائهما ومُسوِّقةً لأفكارهما، فأصحاب الجرائد في ذلك الوقت كانوا مُخَيَّرِينَ بين أمرين: أن يعملوا مع السفارات الأوروبية أو مع السلطان، وفي كلتا الحالتين كانوا مُعَرَّضِينَ للمُضايقة مِنْ طرف الخصوم، وقد كان بعض الصحافيين اختار العمل مع هذا السلطان فوجد نفسه في مَوْقِفٍ حَرَجٍ بعد أن رجّحت الظروف كَمّة غيره؛ بل إنّ التضييق كان يلحق أصحاب الجرائد حتى من قِبَل نُؤاب السلطان وموظفي المخزن بصفة عامّة. فلا غرابة - والحالة هذه - إذا وجدنا بعض اللُّبنانيين «يلعبون على الحبلين»، وقد ظهر في بعض الأوقات أن العملَ مع الأوروبيين صار مريحاً؛ لأنّ الأوروبيين صاروا هم الأقوياء، وبالتالي كان ذلك يضمن للصحافي بعض الحماية، وقد اتّضح

هذا بشكل سافر بعد أن أصبح المغرب كله تحت الحماية الأجنبية سنة 1912م. وثمة لبنانيون وسوريون كانوا في تطوان والرباط وفاس والدار البيضاء وغيرها من حواضر المغرب الكبرى سنُرجى الحديث عنهم إلى مقال لاحق، أما هذه الدراسة فقد خصصناها للكلام على تسعة من أعلام الصحافة اللبنانية المهاجرة إلى طنجة.

2/1 - عيسى فرح و سليم كسباني

لقد دبّ النزاع بين ورثة
عرش السلطان الحسن
الأول، وامتد لسنوات،
هرع خلالها المتنافسان
(السلطان عبد العزيز
والسلطان عبد الحفيظ)
إلى الصحافة لتكون ناشرةً
لآرائهما ومُسوّقةً لأفكارهما

هُمَا لبّانيان، مُؤسّسا جريدة «المغرب»، وهي أول صحيفة ببلاد المغرب الأقصى بحسب ما تُفيدة عبارة: «أول جريدة عربية طُبعت بمراكش» التي كُتبت بجانب عنوانها كانت «المغرب» تصدر بمدينة طنجة مرة في الأسبوع، ويرجع تاريخ صدور أول عدد منها إلى يوم الأربعاء 14 رمضان عام 1306 الموافق 15 مايو سنة 1889. أما عن أصحاب الجريدة، فقد ثبت في خاتمة العدد الأول منها أسماء: عيسى فرح،

وسليم كسباني. يقول الفقيه محمد المنوني - رحمة الله عليه - : وقد كانت هذه كلها أسماء مستعارة.

أما المؤرخ الفرنسي جان لوي مبيج فيقول في بحث له عن صحافة طنجة: إن المحاولة الوحيدة لإنشاء جريدة عربية في القرن التاسع عشر كان سنة 1889؛ ولكن «المغرب» التي وُلدت في ربيع هذا العام لم تتجاوز الخريف. أما مُحَرّرها فلم يكن إلا بادجيت ميكن Budget Meakin¹ تحت اسم مستعار: عيسى فرح، وهذا يكفي بلا شك لتفسير فشلها، فالمفوضيات الأوروبية لم تكن راغبة إطلاقاً في أن تُرى صورة عربية لمقالات إنجليزية

1 - بادجيت ميكن Budget Meakin: كاتب إنجليزي استقر بطنجة وأنشأ بها سنة 1883م جريدة

«أزمة المغرب» Times of Morocco



مُزعجة بما فيه الكفاية. وذكر مبيج بهامش هذا الكلام أن بعض الباحثين أخطأ حين اعتبر عيسى فرج مُحَرَّرًا لهذه الجريدة، وقال: إنه ربما التبس عليهم الأمر بعيسى فرح (بالحاء)، وهو مُبَشَّرٌ سُوري كان مُمَثَّلًا - في طنجة - للمؤسسة الإنجيلية الإنكليزية بالخارج (Foreign Bible of British Society). وعلى ما يبدو فإن هذا الذي ذكره جان لوي مبيج هو الشخص المقصود، واسمه يُكتب بالحاء لا بالجيم، تماماً كما نجد ذلك عند شيخ مُؤرِّخي الصحافة العربية الكونت فيليب دو طرازي الذي يذكر أن مُنشئاً «المغرب» هما: عيسى فرح (بالحاء) وسليم كسباني، وهذا الأول لم يكن اسماً مستعاراً كما زعم البعض، وإنما هو اسم لشخص معروف بالمدينة. وقد أشارت جريدة «المغرب الأقصى» الناطقة بالإسبانية - وهي أولى جرائد طنجة - إلى ظهور «المغرب» العربية، وذلك في خبر نُشر على الصفحة الأولى من العدد 358 الصادر يوم 1 ديسمبر 1889م، جاء فيه أن ناشرَ الجريدة سوريُّ الأصل، والسوري في ذلك الوقت كانت تشمل حتى اللباني.

كان عدد صفحات «المغرب» أربع صفحات، وكانت تُعلن في شعارها أنها: جريدة إخبارية أدبية علمية. وقد وضحت حُطَّتها أثناء الافتتاحية المطولة للعدد الأول التي جاء فيها: «..... وإذا كانت هذه البلاد مُفتقرة إلى جريدة عربية اللغة والمشرَب؛ لنشر الأنباء الحقيقية، والحقائق العلمية، والاستنباطات المستحدثة الصناعية التي من شأنها ترقية منزلة البلاد، بأن تنير في رؤوس أهلها نار الحمية العربية، وتدب فيهم النخوة الوطنية، وتنهض همم الرجال، من حضيض الإهمال إلى التدرج في مراقي الكمال، لكي يسعوا في إصلاح حالة بلادهم، باذلين النَّفس والنَّفيس في درء المفسد عنها، وجلب المنافع إليها، وكل ما يعود إلى رفع رتبتها، عاملين على مكائنتهم في مجارة بقية البلدان في مضمار النجاح والقوة...».

3- وديع كرم

هو أشهر أربع إخوة من آل كرم نزلوا طنجة، وآل كرم عائلة لبنانية مشهورة في ميدان الصحافة، والثلاثة الآخرون هم: أسعد، وميشيل، ويوسف.

عمل وديع كرم أول الأمر في السفارة الفرنسية بطنجة، ولما أنشأت هذه جريدة «السعادة» سنة 1904م لتكون صوتاً مدافعاً عن مصالحها في المغرب، عيّنت لها إدريس بن محمد الخبزاوي الجزائري مديراً لتحريرها وجعلت وديع كرم مُساعداً له. وقد كانت هذه الجريدة تُوزع على نطاق واسع وتصل إلى يد النُخب المثقفة بجلّ حواضر المغرب الكبرى. وأثناء اشتغاله في «السعادة» بادر وديع كرم إلى إنشاء جريدة محلية تحمل اسم: «الصباح»، وذلك باتفاق مع صاحب مطبعة يُدعى سليمان بن حيّون.

عمل وديع كرم أول الأمر في السفارة الفرنسية بطنجة، ولما أنشأت هذه جريدة «السعادة» سنة 1904م لتكون صوتاً مدافعاً عن مصالحها في المغرب، عمل وديع كرم مُساعداً لمدير تحريرها.

وجريدة «الصباح»: أسبوعية باللغة العربية، عدد صفحاتها أربع صفحات، تولى إدارتها صاحب المطبعة، ورأس تحريرها وديع كرم. وقد صدر عددها الأول بطنجة يوم 27 جمادى الأولى 1324هـ/10 يوليو 1906م. أما عددها الأخير فيحمل رقم 98 بتاريخ الثلاثاء 12 ربيع الأول 1326/14 أبريل 1908. شعارها: سياسية أدبية علمية تجارية. وتكتب تحت عنوانها هذه العبارة: «عند الصباح يحمد القوم السرى». أما أهداف

الجريدة فيمكن معرفتها من هذه الفقرة المنشورة بعددها رقم 30 بتاريخ 16 يناير 1907م، يقول المحرر: «.... وهي (أي الصباح) واسطة بين الهيئة الحاكمة والمحكومة، وهي الرابطة بين الناس والنادي الذي يجتمع إليه الجلاس، ومدرسة علم للطالب وخزانة خير للراغب، ومشكاة للضالين وراذع للظالمين».

وقد ظلّ وديع كرم - وهو يرأس «الصباح» - مُحفظاً بموقعه في «السعادة» كُمساعدٍ لرئيس التحرير، وعلى ما يبدو أصبح هو المسؤول الأول بالجريدة، وعليّه ستقع تبعات كلّ ما يُكتب بـ«السعادة» التي كانت مُوالية لفرنسا، وكانت تُناصر السلطان عبد العزيز، ولما قام أهل فاس بخلع بيّعتِه، كتب وديع كرم في العدد الصادر يوم الخميس 11 ذي الحجة 1325هـ/



الموافق 15 يناير 1908م مقالاً يُعنى فيه على أهل فاس خَلْعُهُمْ لبيعة السلطان عبد العزيز وينعتهم بالزنادقة والمارقين الثوار، فقامت حملة قَلَمِيَّة اشترك فيها عدد من علماء فاس لدحض الأفكار التي تُروِّجها جريدة «السعادة» الصادرة بطنجة والتي كان شيوخ فاس ينعتونها بـ«الشقاوة»، وقد أصدروا عدداً من المنشورات تُوضِّح شَرَعِيَّة بيعة السلطان عبد الحفيظ حملت عناوين لافته للانتباه لم يتردد بعض أصحابها في توجيه السَّهام إلى وديع كرم مُباشرة، فمن ذلك:

- الجيش العرمرم لهزم وديع كرم، لمؤلف مجهول، فرغ من تأليفه سنة 1908م (طُبع على الحجر بفاس في 24 صفحة).
 - مقالة من سنان القلم لتنبية وديع كرم، لصاحبها محمد العابد بنسودة (طبعة حجرية. فاس 1909 في 32 صفحة).
- وبعد أن أوقَفَ وديع كرم جريدته «الصبح» استمر يعمل في «السعادة»، ثم انسحب منها وأنشأ مجلة «الصبح» التي كانت تكتب على غلافها أنها «مجلة علمية تجارية أدبية تاريخية تصدر بطنجة مرتين في الشهر». كان عدد صفحاتها 16 صفحة من الحجم المتوسط. وقد صدر عددها الأول يوم 17 رجب 1326هـ/ 15 غشت 1908م. نشرت المجلة عدداً من القصائد الشعرية لشعراء من لبنان والعراق، واهتمت بنشر موادَّ تاريخية تُعَرِّفُ بالمدن المغربية العريقة، وشمل اهتمامها حتى أخبار الطب وحال السياسة في العالم، وكتبت عن أحوال المؤسسات المغربية كمؤسسة السجون والقضاء، وغيرهما.

4 - ميشيل كرم

أديب لبناني، وصاحب مكتبة تجارية شهيرة بطنجة، كانت تقع في شارع الصياغين، أكبر شوارع المدينة القديمة، عمل في الصحافة شأنه في ذلك شأن بقية إخوانه، وإلى جانب تفتُّنه في النثر كان ذا حظ في ميدان القريض، وقفتُ له على قصيدة في مدح السلطان عبد العزيز منشورة في

العدد 72 من جريدة «الصباح» الصادر يوم 1 أكتوبر 1907م. ومن أشعاره المعروفة قصيدته التي خاطب بها المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي عام 1319هـ/1901م، بعدما كتب هذا الأخير للأديب اللبناني يستفسره عن محتويات مكتبته بطنجة.

5 - يوسف كرم

ميشيل كرم أديب لبناني،
وصاحب مكتبة تجارية
شهيرة بطنجة، كانت تقع
في شارع الصياغين، أكبر
شوارع المدينة القديمة،
عمل في الصحافة شأنه في
ذلك شأن بقية إخوانه

هو رابع ثلاثة كانوا صحافيين وأدباء وقد سبق التعريف بهم، كان يوسف كرم أديباً بليغاً وشاعراً مجيداً، عمل في جريدة «السعادة»، وقد كانت بينه وبين أدباء المغرب وشعرائه مراسلات ومُجاوبات كثيرة لم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير، نذكر منها - على سبيل المثال - قصيدته في تهنئة الفقيه أحمد سكيرج بتولّيه القضاء بمدينة الجديدة في أوائل شهر رجب الفرد عام 1342هـ.

7/6 - فرج الله نمور و أرتور نمور

هما أخوان لبنانيان، وفداً إلى طنجة وأصدرا بها جريدة «لسان المغرب». فرج الله بن سليم نمور من أدباء صيدا، وُلد فيها سنة 1865م. ويذكر الكونت فيليب دو طرازي أنه «كان رجل علم وعمل، لئن المعشر يُجيد الكتابة نثراً وشعراً». أما أخوه أرتور نمور فكان صحافياً نبياً، صحب أخاه في رحلاته إلى أوروبا والمغرب وأمريكا الجنوبية. وبعد مُقام قصير بطرابلس وتونس انتقل الأخوان إلى باريس ومنها إلى لندن، ثم غادرا لندن وتوجّها إلى طنجة بحثاً عن فرص أفضل، حلّا بها في يناير سنة 1906م على أمل تأسيس جريدة عربية، وفي طنجة وجد الأخوان نمور القنصلية الألمانية لها رغبة جيّة في إصدار جريدة عربية تكون صوتاً لها ودعاية



لأفكارها ونشرها لمحاسنها، فتلقياً منها المساعدة الكافية، وعملا على إنشاء مطبعة، استحضرا لها كل اللوازم من المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت، وبعد سنة من الاستعداد ظهر أول عدد من «لسان المغرب» بطنجة يوم 8 فبراير 1907. أسبوعية باللغة العربية في أربع صفحات، كان فرج الله نَمُور مديراً سياسياً للجريدة، وكان أخوه أرتور نَمُور رئيس تحريرها. كما بادر الأخوان نَمُور إلى فتح مكتبة في المدينة كانت تضم العديد من النفاثس. في العدد 24 من «لسان المغرب» الصادر يوم 1908/02/14م، (ص 2) أثبت الأخوان عقد بيع الجريدة للمخزن المغربي (الحكومة)، وكذا نصّ التزام الصحافيين بالعمل لحسابه. ويبدو أن الأمور سارت بخير في الشهور التي تلت توقيع العقد، لكن بعد مرور حوالى سنة على صدور الجريدة بدأت العلاقات بين مُحرِّريها وبين المخزن تتدهور وتساء إلى أن وصلت حدّ القطيعة، ومردّ ذلك - بحسب اللُّبنانيّين - إلى أن المخزن المغربي لم يحترم التزاماته المالية تجاه الصحافيين بعد أن أقدم على حيازة الجريدة ومطبعتها بتاريخ العقد المذكور أعلاه. وبعد أن شعر اللُّبنانيان بأن المخزن بدأ يتجاهل مطالبهما، وأيقنا أنهما لن يحصلوا منه على ما يرغبان فيه، لم يترددا في فضح عورات المخزن، وظهرت على صفحات «لسان المغرب» كتابات شديدة اللهجة في انتقاد سياسة الحكومة على جميع الأصعدة، وبدأت في مقالاتها تناقش «مسؤولية الملوك وؤلاة الأمور»، وبدأت تُلَمِّح إلى أن مآل حُكم السلطان عبد الحفيظ قد يُشبه ما انتهى إليه النظام العثماني بعد أن عمّ فيه الفساد، وبدأت تصف سياسة الحكومة بالعوجاء، وبأنها أخذت برقبة الأمة إلى الشقاء والفناء وبناصية المغرب إلى الدمار والخراب.

وقد ضاق المخزن الحفيظي ذرعاً بانتقادات «لسان المغرب» فبادر إلى إصدار أوامره إلى النائب السلطاني بطنجة السيد محمد الكبّاص بتوقيف الجريدة وطرد صاحبها من المغرب، وهذا ما حصل فعلاً، فقد توقفت الجريدة بعد صُدور عددها الذي يحمل رقم 84 المؤرخ في 2 مايو 1909م، واستولت الحكومة المخزنية على مطبعتها ونقلتها إلى مُراكش. وهكذا انتهى

عمر تجربة صحافية لبنانية في الديار المغربية لم يُكتب لها أن تدوم طويلاً؛ لأنها ظهرت في ظروف سياسية حرجة لم يكن يُعرف ليها من نهارها ولا يتبين فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود. غادر الأخوان نمور ميناء طنجة في أواخر شهر مايو من عام 1908م، ويبدو أنهما تسلّما مبلغاً مُهمّاً من المال مكنهما من السفر إلى أمريكا الجنوبية. يقول الكونت فيليب دو طرازي: إن فرج الله نمور استقرّ في البرازيل واشترى «المدرسة الشرقية الكبرى» في سان باؤُو ليخدم فيها أبناء وطنه، وحلّت منيته في المدينة المذكورة حوالي عام 1919م بالغاً الرابعة والخمسين من العمر.

بعد أن شعر اللبنانيان بأن المخزن بدأ يتجاهل مطالبهما، وأيقنا أنهما لن يحصلا منه على ما يرغبان فيه، لم يترددا في فضح عورات المخزن (الحكومة).

8 - الشيخ نعمة الله الدحداح

هو نعمة الله بن إسحاق بن موسى بن إبراهيم بن يوسف الدحداح اللبناني الأصل والمولد، نزل طنجة واتخذها دار إقامة، وانخرط في سلك تراجمة الدولة الإسبانية بالمغرب. وتولى تدريس العربية لأبناء الإسبان بطنجة في المدرسة العربية الإسبانية Escuela Hispano - Arabe de Tanger التي تأسست يوم 5 فبراير عام 1907م.

أنشأ جريدة «الفجر» بإيعاز من السلطان عبد الحفيظ، وذلك قبل أن يتولى الحكم، لتكون صوتاً له ودعايةً لأفكاره بطنجة ونواحيها، وقد كتب الدحداح تحت اسمها هذه العبارة: «ولولا سواد الليل ما طلع الفجر». ظهرت الجريدة في أول مرة يوم 27 يونيو سنة 1908م؛ ولكنها لم تتابع الإصدار بطنجة، توقفت بعد صدور العدد السابع. بعد ذلك انتقل الشيخ نعمة الله الدحداح إلى تدريس العربية بمدرسة ألفونصو الثالث عشر Escuela de Alfonso XIII، وهي مدرسة أسستها الإرسالية الكاثوليكية بطنجة سنة 1913م. ثم غادر طنجة واستقر بمدينة تطوان¹ التي غدت عاصمة المنطقة

1 - مدينة مغربية تبعد عن طنجة بحوالي 60 كلم.



المغربية المحتلة من قبل إسبانيا، كتب الشيخ نعمة الله الدحداح العديد من المقالات بالإسبانية في مجلة AFRICA (إفريقيا) التي كانت تصدر بمدينة سبته المحتلة في العشرينات من القرن الماضي، ولَمَّا أنشأت الإدارة الإسبانية مجلة «الاتحاد» بتطوان (ظهر العدد الأول في فاتح مارس 1927م) أسندت رئاستها إلى الصحفي الإسباني إنريكي أركيس، وتولّى تحريرها الشيخ نعمة الله الدحداح. ومن تأليفه: تشنيف الأذان في مختصر تاريخ الإسبان. (صدر سنة 1932م عن المطبعة المهدية بتطوان في 234 صفحة). وكانت وفاة الشيخ نعمة الله الدحداح بمدينة تطوان سنة 1937م.

9 - أسعد كرم

أسعد كرم، سكن طنجة وعمل في «السعادة» ثم نال ترخيصاً بإصدار جريدة «الترقّي» سنة 1911م تحت رعاية السفارة الفرنسية بطنجة، لُغتها عربية وتصدر مرتين في الأسبوع، أما اهتماماتها فكانت مُنصّبة على الاقتصاد المغربي وفلاحته بصفة خاصة، كما خصّصت مساحة من صفحاتها لمواضيع أدبية وعلمية.

وعَدَا هذه الشخصيات الأدبية التي وفدت على طنجة وعاشت فيها طوال مُدّة الإدارة الدولية واشتغلت في الصحافة، ثمة عائلات لبنانية كثيرة كانت تسكن المدينة، وكان أفرادها يمارسون نشاطات تجارية ومصرفية وغيرها، ليس من صميم موضوع هذا البحث أن نسوق أمثلة لذلك فالشواهد كثيرة؛ ولكننا سنكتفي بمثال واحد نقتطفه مما كتبه الأديب اللبناني أمين الريحاني في كتابه (المغرب الأقصى ونور الأندلس)، فقد دخل الريحاني طنجة أيام الإدارة الدولية بُعيد الأزمة المالية العالمية لعام 1929م، وكان اقتصاد طنجة قد تأثر بهذه الأزمة تأثراً كبيراً، قال بعد تجوال في عدد من أحياء المدينة:

«عُدْنَا من القَصَبَةِ إلى السوق الكبيرة فالسوق الصغيرة فالتقينا هناك بلُبناني أقام في طنجة أربعين سنة، فأمسى من أبنائها لساناً، وقد يجوز أن

نقول كذلك: قلباً وخلقاً، دعوناها للقهوة والحديث فقال: عندي واحد ميعاد والذاكرة ذِيالي (ذاكرتي) ضعيفة، ضعيفة بالزَّاف (أي جداً أو كثيراً).
ثم وَعَدْنَا بأن يُوافينا إلى القهوة إذا تذكَّر اسمها، فسألناه - ونحن لا نأمل بذاكرته أن تُحقِّق الاجتماع في القهوة - : وكيف أحوال طنجة؟
فأجاب قائلاً: مُوَحَّلَة.

فقلنا: موَحَّلَة تجارياً أم اجتماعياً أو سياسياً؟
فقال: موَحَّلَة في كل شيء - موَحَّلَة بالزَّاف.
وقالها كما يقول: الصحة جيدة والحمد لله».

مراجع الدراسة

أسعد كرم، سكن طنجة
وعمل في «السعادة» ثم نال
ترخيصاً بإصدار جريدة
«الترقي» سنة 1911م تحت
رعاية السفارة الفرنسية
بطنجة، لغتها عربية
وتصدر مرتين في الأسبوع

1- المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث،
الجزءان 1-2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
1985.

2- عبد الصمد العشاب: مائة سنة من تاريخ
الصحافة بمدينة طنجة، جريدة الشمال
(طنجة 1421هـ/2001م)، أعداد: 60، 61،
62، 63، 64.

3- فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الرابع، المطبعة
الأدبية، بيروت، 1914.

4- جامع بيضا، صحافة طنجة: مرآة للصراع الدولي حول المغرب
(1900 - 1912). منشورة ضمن أعمال ندوة: طنجة في التاريخ المعاصر،
منشورات كلية الآداب بالرباط، 1991.

5- زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، نشأتها وتطورها. منشورات
وزارة الأنباء، من دون تاريخ الطبع.



- 6- مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط، 1987.
- 7- الشيخ عبد الكريم بن أحمد سكيرج، دفتر ثغر الجديدة، (مخطوط).
- 8- الرحلة الشامية، للأمير محمد علي باشا (1910م). دار السويدي. أبوظبي، 2000م.
- 9- أمين الريحاني، المغرب ونور الأندلس، دار الجيل. بيروت، 1408هـ/ 1987م.
- 10 - Jean-Louis Miège, *Journaux et journalistes à Tanger au XIX siècle*, revue Hesperis. Tome. XLI, 1954.
- 11 - Ricardo Ruiz Orsatti, *La Enseñanza en Marruecos*, Tetuan. 1919.

12 - الجرائد والمجلات:

- المغرب - المغرب الأقصى (بالإسبانية) - جريدة الصباح - الصباح (المجلة) - الفجر - الترقّي - لسان المغرب.